

ماذا عملت أمريكا لتحسين معيشة الفلاح ؟

للدكتور أحمد حسين

مدير إدارة الفلاح

“ ألفت هذه المحاضرة باللغة الشرقية بإلمامة ، الأمريكية ”

شعرت بعد أن وافقت على الاشتراك في سلسلة الأحاديث هذه أنني قد ظلمت نفسي كما ظلمت حضرات المستمعين الكرام . فليس لي من فرص الدراسة الطويلة والاتصال المستمر بأمريكا وحياتها ما لحضرات من سبقوني بالحديث .

وهي كل حال فلم يعد لي مخرج من هذا المأزق ولا لحضراتكم مفر من السماع . وقبل أن أبدأ حديثي أود أن ألفت النظر إلى أن الوقت لا يتسع لأكثر من إلقاء نظرة عامة على حالة الفلاح في الولايات المتحدة الأمريكية وإعطاء بعض الأمثلة لخدمات مختلفة تقوم بها الدولة أو غيرها من الهيئات لتحسين معيشة الفلاحين .

وعند التحدث عن تحسين حال الفلاح أرجو أن نكون متفقين على أن المقصود بالكلام هو الفلاح الصغير، وهو الفلاح الذي يحتاج إلى خدمة وعون لرفع مستوى معيشته . ويستوى عندئذ إن كان ذلك الفلاح مالكا صغيرا أو مستأجرا أو شريكا بالمزارعة أو عاملا زراعيا ، أما كبار الفلاحين فلهم من ثروتهم وجاههم ما يغنيهم عن تلك الخدمات وإن كان لهم نصيب في الموضوع فلا يتجاوز مسؤوليتهم في المساهمة في خدمة صغار فلاحهم .

ولما كان الحديث عن الفلاح الأمريكي وخدمته سيضطرننا حتما إلى الاتجاه بفكرنا نحو فلاحنا في مصر وخدمته أرى زيادة في الحيلة أن أذكر بعض أوجه لتباين لأساسية بين الحالة في أمريكا وفي مصر .

الولايات المتحدة بلاد شاسعة ، قرب إلى أن تكون قارة منها إلى دولة . كما أنها مفرطة في الغنى في مواردها الطبيعية سوء ، أكانت أراضي زراعية أم ماجم أم بحارا وأنهارا . ذلك بجانب تقدمها في العلوم والصناعة والتجارة . أضف إلى كل هذا ما يتمتع به الأمريكي العادي من رزق ميسر وتعليم وصحة علاوة على ما هو معروف عنه من إقدام ونشاط .

يعيش على الزراعة في أمريكا حوالي ٢٢ مليوناً من الأنفس يفلحون مساحة تبلغ حوالي ٣٩٠ مليون فدان ، أى بمعدل شخص واحد (رجل أو أنثى أو طفل) لكل ١٦ ٢/٣ فداناً .

هذا بينما يعيش في مصر أكثر من ١٢ مليون شخص على الزراعة يفلحون ٥٠ مليون فدان فقط بمعدل ٩ أو ١٠ قراريط لكل شخص .

أى أن ما يخص الشخص من السكان الزراعيين في أمريكا من الأرض يبلغ ٤٠ مثلا لما يخص الشخص من أهل الريف في مصر .

ومستوى المعيشة بالنسبة لعامة الشعب في أمريكا يقرب من أن يكون قصة من قصص الخيال إذا ما نظرنا إليه على ضوء مستوى معيشة عامة الشعب المصري .

فالسيرة والقرى يجيدير ومطابخ الكهرباء وحوض الاستحمام والسينما والويسكى وسجاير الكي ستريك بالنسبة للعامل المتوسط الحال أمور بديهة أولية .

وقد سألت أثناء رحتي الأخيرة لخمهور مؤتمر الأغذية سكرتيرة أحد وكلاء الوزارات في أمريكا عن راتبها فعلمت أنه ١٠٠٠ جنيه في السنة أى ما يقارب مرتب وكيل الوزارة نفسه عندنا .

والخادمة في المنازل تتقاضى حوالى ٣٥ جنيها في الشهر. وتعجب اذ تسأل سائق التاكسي عن مطعم جيد فيتخير لك معتمدا على خبرته وتجاربه الشخصية في تلك المطاعم . أو أن يتشكى لك الخادم بالفندق من أنه يلاق صعوبة كبيرة في الانتقال لأنه لا يستطيع استعمال سيارته الخاصة الا استعمالا محدودا بسبب تقييد استهلاك البنزين .

ويختلف النظام الإدارى ووضع المناطق الريفية اختلافا بينا عما هو الحال لدينا في مصر ، فبينما نجد لدينا حكومة مركزية واحدة مهينة على كل المرافق تقريبا ، نجد الولايات المتحدة مجموعة من الولايات ذات الإدارة الذاتية States لكل منها تشريعاتها ونظمها ومالياتها ، وتنقسم كل ولاية إلى مقاطعات counties تدير شؤونها بذاتها معتمدة باستقلالها في تصريف شؤونها ، وتنقسم كل ولاية بدورها الى مجموعة من ال townships أى محيط مدينة وتنقسم تلك ال townships & neighbourhoods أى جيرة .

ولا نجد هناك القرى المجمعدة المركزة التى نجدها لدينا ، فساكن الفلاحين مبعثرة متعامدة في وسط مزارعهم ، ولذا كانت التقسيم الإدارى في آخر مراحلها محدد عرفيا - وليس طبيعيا - على أساس التقارب أو محيط مدرسة القرية .

وعلى هذا تكون الخدمات القروية المركزة بشكلها المعروف في مصر متعذرة .

وتختلف الأوضاع الزراعية في أمريكا لسعة الأرض بالنسبة للفلاحين ، فالآلات الزراعية بأنواعها شائعة الاستعمال ، والعامل الأكثر قيمة في عوامل الانتاج الزراعى هو الفلاح نفسه ، وتقاس كفاءة الاستغلال بما ينتجه العامل عكس الحال عندنا حيث القيمة كلها للأرض والعامل ثانوى قليل القيمة ، فتتيسر الاستغلال بما ينتجه الفردان ضاربين صفحا عن عدد العمال الذين قاموا بالإنتاج .

وقد تقدم أحد المندوبين الأمريكيين في المؤتمر الزراعى الذى عقد أخيرا فى القاهرة يبحث قيم يثبت أن ما ينتجه كل عامل زراعى فى أمريكا يعادل تسعة أمثال ما ينتجه كل عامل زراعى فى مصر .

وهذه أسنا لو استطعنا نشر استعمال الآلات والأساليب الحديثة فى الزراعة فى مصر، وفتحنا أبواب العمل فى الصناعة لامتصاص العمال الزراعيين الراشدين لما فقدت الأرض ولا الزراعة شيئا إذا ما هبط عدد المشتغلين فيها الى النصف وأقل من النصف، بل على العكس من ذلك تتقدم الزراعة ويرتفع مستوى معيشة الفلاحين .

وهناك الاختلاف فى الانتاج وفقا لمختلف البيئات، فنجد فى كاليفورنيا مثلا حيث تنتشر زراعة الفواكه والخضر وحيث توجد مزارع واسعة للغاية تسمير على أحسن الأساليب وتستخدم أحدث الآلات حتى أنها تشبه المصانع أكثر مما تشبه المزارع أن أجور العمال الزراعيين قد ارتفعت ارتفاعا بالغا بينما نجد عمال مناطق الجنوب المزدهرة التى تزرع القطن تقراء منخفضى الأجور .

وهناك مسألة أخيرة ليس لها وثق الحمد مثل لدينا وفى تقسيم السكان الى شعبين مختلفين فى الحقوق والمعيشة وكل شىء، وأقصد البيض والسود، ولكل من الفريقين نظم ومقاييس ومعيشة خاصة . وكلى أمل أن يؤدى الايمان الحالى بالديمقراطية الحقة والذود عنها الى انتهاء تلك التفرقة .



أما عن اليهود التى بذلت لنحسين معيشة الفلاح فهى كثيرة . وإن كان العامل الزراعى هناك محروما كما هو الحال فى أغلب الدول من الاستفادة بالتشريعات العالية المختلفة التى تنظم الأجور وساعات العمل وأيام العطلة والتعويض والتأمين ضد المرض والعجز والبطالة كما تنظم التقاعدات . (ذلك اذا استثنينا حالة واحدة خاصة وهى بعض التشريعات الخاصة بعمال زراعة القصب) .

وكذلك المستأجرون الزراعيون لم أحتد لأى تشريع بشأن حمايتهم أو تنظيم علاقتهم بالملك .

وكما هو الحال فى معظم الدول وكما هو الحال عندنا نجد أجور العمال الزراعيين لا يتجاوز فى المتوسط ثلث أجور العمال الصناعيين (مصر قبل الحرب ٢٩ مليا، العمال الزراعة و٨٣ لعمال الصناعة) .

وكان من أهم توصيات مؤتمر الزراعة والأغذية الذى عقد أخيرا فى هونج كونج أن تعمل الحكومات المشتركة فى المؤتمر على تحقيق المساواة فى المعاملة بين عمال الصناعة وعمال الزراعة .

على أنف عدم وجود تشريعات لعمال الزراعة والمستأجرين لا ينفي أن هناك من المؤسسات والخدمات الحكومية وغير الحكومية المتنوعة ما هو أكثر نفعا وأعم أثرا من التشريع .

كما أن هناك جمعيات متعددة قوية للزراع ترمي مصالحهم وتدافع عن حقوقهم ولها وزنها الأدبي والسياسي ورأيها المسموع لدى المسؤولين عن الزراعة والسياسة الزراعية وإن كانت هذه الجمعيات تمثل اتجاهات مختلفة أو طبقات مختلفة من الزراع .

وأهم هذه الجمعيات :

Farmers unions National grange Farmers-Bureaus

كما أن أهم ما يسترعى انتباه الباحثين في الولايات المتحدة ضخامة الجهود التي تبذل في البحث العلمي السليم والعناية التي تعطى للدراسات المحلية وجمع البيانات والاحصاءات والجيش العظيم من الفنيين المنقطع لهذا النوع الأساسي من العمل . هذا الجيش الذي وإن لم يظهر في الميدان فهو صاحب الفضل الأول في شق الطريق وتمهيد السبيل لتنفيذ وتمكينهم من وضع خططهم وتوجيه أعمالهم إلى الاتجاه السليم .

وما يؤسف له أن هذه الناحية الهامة التي تتطلب الكثير من الوقت والجهد والمثابرة لم تلق بعد في مصر ما هي جدرة به من تقدير وعناية مما كان له أثر بالغ في أن الكثير من مشروعاتنا العامة لم يثمر الثمرة المتوقعة لحرمانه من أساس من الدرس والبحث والتخصيص يعتمد عليه .

وإن كان مما لا شك فيه أن أول أساس لتحسين معيشة الفلاح يقوم على مساعدته في عمله الذي يرتق منه أي في العناية بالزراعة كهيئة ، إلا أنني رأيت أن موضوع هذا الحديث وهو تحسين معيشة الفلاح يتناول الناحية الاجتماعية للموضوع ولا يمكن أن يتناول التفاصيل الفنية للخدمات الزراعية في الولايات المتحدة وهو موضوع جدير بأن يكون محل حديث خاص .

وعلى كل فالتصلون بالفن والعلم الزراعي يعامون مدى التقدم الذي أصابته الولايات المتحدة في هذا الميدان من كافة النواحي سواء أكان من ناحية تحسين أساليب الزراعة أو استعمال الآلات واستنباط السلالات الممتازة من النبات والحيوان أو تجهيز المحاصيل أو صناعات الحفظ أو غير ذلك مما جعل الولايات المتحدة من أرقى بلاد العالم من الناحية الزراعية .

ودليلنا القريب على ذلك توجيه كل بعثتنا التي توفد للتخصص في الفنون الزراعية المختلفة نحو تلك البلاد .

وأداة لإيصال نتائج التقدم العلمى فى الزراعة إلى الفلاحين هو موظف مهم للغاية فى الولايات المتحدة وهو مندوب الارشاد الزراعى فى المقاطعة County agent ولهذا الموظف واجبات متنوعة فى خدمة فلاحى مقاطعته تعتمد عليه فى تحقيقها الادارات المختلفة زراعية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية .

ويتبع مهندسو الارشاد هؤلاء كليات الزراعة فى مختلف الولايات وتشترك وزارة الزراعة مع هذه الكليات فى تعيينهم . وتعتمد وزارة الزراعة فى أمريكا على تلك الكليات فى إجراء البحوث والتجارب المحلية . وقد أوصل هذا التعاون إلى أحسن النتائج .

وستناول فيما يلى أمثلة من الجهود التى بذلت لتحسين معيشة الفلاح فى الولايات المتحدة .

تأمين معيشة الفلاح

أنشأ رئيس روزفلت عدة إدارات جديدة وسعة لخدمة الزراع مثل إدارة التنظيم الزراعى . Agricultural adjustment administration ومهمتها الأساسية تنظيم الانتاج بتحديد مساحة كل محصول وفقا لحاجة الأسواق وضمان سلف معينة وسعر محدد يحصل عليها الزراع الذين يعملون بالتعاون مع تلك الادارة .

وإدارة أخرى للحفاظ على تربة ومقاومة نهيارها وسممها (إدارة المحافظة على التربة Soil conservation bureau) .

وإدارة ثالثة لتأمين العيش للفلاحين Farm Security Administration أنشئت فى نهاية سنة ١٩٣٧ وعمل هذه الادارة هو فى صميم موضوع الحديث .

لهذه لادارة جمهور خاص تخدمه وهم طبقة الفلاحين الفقراء أى لمنخفضى الدخل (Lower income farmers) ومهمة الادارة الرئيسية هى الاتصال بهؤلاء الفلاحين شخصيا والاشتراك معهم فى دراسة حالتهم وظروفهم ومساعدتهم مائلا وأديبا حتى يتمكنوا من تحسين حالتهم الاقتصادية والاجتماعية .

وللاسف لم نن نحن بعد فى مصر لعناية الواجبة بالناحية الشخصية فى الإصلاح وتوجيه الناس للعمل على تحسين أحوالهم بأنفسهم Help people to Help Themselves . ولنى تبرز برامج الإصلاح المتعددة الثمرة المرحوة مادام المقصود خدمتهم مهملى رأى مبعدين عن المساهمة .

ولإعطاء فة عن مقاييس الفقر في أمريكا أثبت الإحصاء في الولايات المتحدة أن هناك ٢٩,٤٠٠,٠٠٠ عائلة مقسمة من حيث مستوى معيشتها على الوجه الآتي :

٨,٠٠٠,٠٠٠ طبقة الجوع Starvation أقل من ٧٥٠ ريال (بمتوسط ٤٨٠ ريالاً في السنة) .

١١,٠٠٠,٠٠٠ طبقة الفقر Poverty ٧٥٠-١٥٠٠
 ٨,٠٠٠,٠٠٠ » العيشة المعتدلة Comfort ١٥٠٠-٣٠٠٠
 ١,٥٨٥,٠٠٠ » الترف Luxury ٣٠٠٠-٥٠٠٠
 ٨٠٠,٠٠٠ » الثراء Wealth ٥٠٠٠-١٠٠٠٠

وبجانب تلك الطبقات توجد طبقة كبار الأغنياء المكونة من ٢٨٣,٠٠٠ عائلة يدخل سنوى يزيد عن ١٠,٠٠٠ ريال ، وأعلى دخل لعائلة واحدة من تلك الطبقة يتراوح بين ٤ و ٥ مليون ريال في السنة ، ويوازي دخل هذه العائلات القليلة العدد الواسعة الغنى دخل أفقر ١١ مليون عائلة . أى أن دخل ١٪ من كبار الأغنياء يعادل دخل ٤٠٪ من السكان الفقراء .

وقد أثبتت البحوث انتشار الفقر في الريف وان كان الريفيون يحاولون ستر هذا الفقر ويحجبون منه أكثر مما يفعل أهل المدن . وبيئت الدراسات مدى أثر ذلك الفقر الذى يحرم أصحابه ، دون ذنب لهم ، من العيش الهادئ والاستقلال الاقتصادى ، كما يؤدى بمنازلهم إلى التدهور وبصحتهم إلى الاعتلال وبأولادهم إلى الحرمان من التعليم (تبين أن أقل من ١٠٪ من مازل الفلاحين بأمريكا بها مراحيض داخلية كما تبين أن ٥٠٪ من عائلات الفلاحين لا تتوفر لهم التغذية الصحية) هذا بجانب حرمان المجتمع من مساهمة هؤلاء المقراء في نشاطه وتقدمه .

وأثبت الإحصاء في سنة ١٩٣٦ أن هناك ١,٧٠٠,٠٠٠ عائلة ريفية دخلها في المتوسط أقل من ٥٠٠ ريال في السنة وهى أقل من مستوى طبقة الجوع مائة ألفة الذكر .

ويبلغ عدد العائلات الزراعية في أمريكا حوالى ستة ملايين عائلة ٣٥٪ منها في طبقة الجوع و ٣٩,٢٪ في طبقة الفقر و ٢٥٪ فقط في طبقتى المعيشة المعتدلة والترف .

ولما كانت إدارة تأمين عيش الفلاحين تقصد إلى مساعدة من يستطيع مساعدة نفسه وليست إدارة للزكاة وتوزيع الصدقات فهى لا تعنى بالعجزة بالكامل ممن تنقصهم المقدرة ولا تتوفر لهم الارض لإصلاح شأنهم .

كما انه يخرج عن مهمتها مساعدة الفلاح القادر الذى يستطيع الاقتراض من هيئات أخرى أو الاستفادة من خدماتها .

ويبلغ عدد العائلات التى تدخل في نطاق اختصاص تلك الادارة حوالى ٢ مليون عائلة ، ومهمة هذه الادارة الأولى هى القضاء على الفقر ونتاجه عن طريق تحسين الانتاج

في الحقل وتحسين المعيشة في المنزل معتمدة في ذلك على العون المادي بالتحويل والعون الأدبي بالإرشاد والتوجيه ، والعملتان مرتبطتان تماماً إذ أن الإدارة ليست بنكا للتسليف ولا يستفيد بخدماتها المادية إلا من يقبل إرشادها وتوجيهها .
والهدف الأساس تحسين مزارع ومساكن فقراء الفلاحين وزيادة انتاجهم حتى يقفوا على أرجلهم ولا يحتاجوا إلى مساعدة أحد .

وقد ساعدت هذه الإدارة لآن مليون عائلة مساعدة ذات نتائج دائمة كما سيأتي .
ويشمل برنامج إدارة تأمين معيشة الفلاحين مواضيع متنوعة أهمها :

١ — إصلاح حال الفلاح عن طريق التسليف المصحوب بالإرشاد فيدرس مندوب الإدارة مع الفلاح وعائلته حالة المنزل والمزرعة وأوجه النقص فيهما وطرق الإصلاح ، ويتفق معهم على برنامج تقدر تكاليفه وتمنح كمائة هيئة القائدة سهلة السداد لما سيقرب على تنفيذ البرنامج من زيادة في دخل العائلة عن طريق استكمال الآلات والمواشي أو إدخال زراعات جديدة أو إصلاح الأرض أو المباني أو غير ذلك ، كما يخصص جزء من السلفة لتحسين المنزل والحياة فيه . وكثيرا ما تزيد السلف الممنوحة عن القدر الذي تقدم بطلبه الفلاح المحتاج قبل وضع البرنامج .

وللإدارة المذكورة مندوبون من الاختصاصيين الزراعيين لدراسة ناحية الإنتاج وزيادته والإرشاد إلى الطرق السليمة . وإحصائيات في التدبير المنزلي للناحية الخاصة بتحسين حال المنزل والتغذية وتعليم ربان المنازل طرق حفظ المنتجات أو غير ذلك .

ويشمل النشاط في التسليف دراسة حالة الفلاحين المثقلين بالديون ومعاونتهم بمساعدة لجان محلية في تحسين حالهم عن طريق الالتحاق الاختياري مع الدائنين على تخفيض القوائد أو إطالة أجل القروض مما يعود على المدين والدائن بالفائدة ، وقد بلغ عدد المستفيدين بتلك التسويات لنهاية سنة ١٩٤٠ ١٣٥,٠٠٠ عائلة خفضت ديونها بمتوسط ٢٥ ٪ .

٢ — شراء المزارع الكبيرة أو إصلاح أراض جديدة لغرض توزيعها على مجموعة من المستأجرين أو عمال الزراعة .

وقد بلغ عدد المستفيدين بهذا النظام من المستأجرين ١٦,٠٠٧ عائلة ملكت كل منها مزرعة يبلغ ثمنها في المتوسط ٥٠٠٠ ريال وتعد للمستعمرين المساكن الملائمة ويؤدون بالأدوات والمواشي والمال اللازم للبداية في العمل بكفاءة ونجاح . وتؤجر لهم الأراضي في البداية لمدة خمس سنوات حتى إذا ما استقروا وأثبتوا جدارتهم يبيع لهم ثمن ربما كان أقل من ثمن الشراء الأصلي مقسما على أربعين قسطا سنويا بفائدة قدرها ٢ ٪ ، وترفع قيمة القسط وتخفيض وفقا للحالة في كل موسم .

وقد اطلعت على نتيجة بيع مزرعة مساحتها ٥٠٠٠ فدان وزعت على ١٠٠ عائلة فقيرة كانت تعيش فيها مستأجرة . وقد تبين أن دخل العائلة في المتوسط قد ارتفع من ٢٠٠ ريال

إلى ٩٠٠ ريال في السنة علاوة على قيمة ما استهلكته مباشرة من إنتاج المزرعة وقد قدر بمبلغ ٣٠٠ ريال للعائلة الواحدة .

وقد خصصت بعض الأراضي التي اشترتها إدارة تأمين معيشة الفلاح لإنشاء مزارع تعاونية عليها تكون من مجموعة من العمال أو المستأجرين يرعونها معا بطريقة تعاونية ويعطى كل منهم ٥ ريالات يوميا تحت الحساب ويوزع الربح بينهم في نهاية السنة بنسبة ساعات العمل لكل . وتسير تلك المزارع بنجاح تحت إشراف مديرين فنيين .

ويشمل برنامج الاستثمار لإصلاح وتعمير مناطق جديدة وتشجيع الهجرة من المناطق المكتظة إلى المناطق التي تنقصها لأيدي العاملة .

٣ - إنشاء هيئات صغيرة محلية تعاونية أو شبه تعاونية لصغار الفلاحين تسهل لهم مهمة استيراد حاجاتهم أو تصريف منتجاتهم كما تمكنهم من شراء الآلات أو الطلائق بالاشتراك أو إقامة معامل للألبان أو غيرها من الصناعات الزراعية أو تنظيم الري المشترك أو غير ذلك من الخدمات التي لا يستطيع الواحد منهم توفيرها لنفسه بمفرده .

وقد بلغ عدد تلك الجمعيات ٢١,٥٠٠ جمعية ساعدت ٣٩٥,٠٠٠ عائلة من العائلات الفقيرة التي تخدمها هذه الإدارة .

٤ - العناية بالمستأجرين بتحويلهم - كما سمحت الظروف - إلى ملاك وكذا التسيير لضمان حصولهم على عقود بحجر مكتوبة وإطالة مدة الإيجار كما تنظم تلك العقود طريقة التحكيم عند وقوع خلاف بين المالك والمستأجر .

٥ - إنشاء معسكرات للعمال الرحل يتوفر فيها السكن والصالح والعناية الصحية ووسائل التعميم وضرورات العيش . ويوجد الآن ٣٠ معسكرا من هذا النوع تضم حوالي ١٥٠٠٠ عائلة . وبدئ بإنشاء معسكرات متنقلة تتبع مواسم العمل في مختلف المناطق .

٦ - تنظيم التأمين الصحي لفقراء الفلاحين بطريقة تعاونية بمساهمة كل منهم بمبلغ سنوي يحجز عادة من السلف مندا، ويبلغ في المتوسط ١٨ ريالا في السنة للرجل وزوجته، وتتفق هذه الجمعيات مع هيئات الأطباء على أن يحصلوا على أنعامهم من صناديق التأمين المذكورة، وقد بلغ عدد هذه الجمعيات في نهاية مارس سنة ١٩٤١ : ٧٠٤ جمعية في ٨٣٢ مقاطعة . وتعنى هذه الجمعيات بتوفير الوسائل الصحية والقيام بالاحتياجات الكفيلة بجمع انتشار الأمراض ، ولدى الكثير منها رائات صحيات للخدمة في المصحة . وقد أمكن توفير العلاج المجاني لعمال الزراعة الرحل في بعض الولايات .

٧ - إرشاد الفلاحين الذين تخدمهم الإدارة ومساعدتهم في توفير الخدمات الصحية كياه الشرب والجماعات، وتصريف الفضلات كما تبذل عناية خاصة في هذه الناحية في المزارع التي اقتنتها تلك الإدارة وفي معسكراتها . وبعض تكاليف توفير الوسائل الصحية تهـ
رف

كاعانات بلغت قيمتها في السنة المالية ١٩٤٠-١٩٤١ ، ٨٨٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال صرفت إلى ١٦,٠٠٠ عائلة ويبلغ مجموع العائلات التي تخدمها الادارة والتي استفادت من تلك الاعانات من البداية حتى منتصف سنة ١٩٤١ ٧٥ ٠٠٠ عائلة .

على أن هذه الادارة ترى في الدراسة والتعليم والتوجيه رسالتها الأولى، فعلى كسب ثقة الفلاح المتقدم لها، وبتدريج فهمه لرسالة الادارة، والدقة في دراسة حالته وأسباب سوءها، والعناية بوضع البرنامج السليم ، واستمرار الارشاد والاشراف ، يتوقف كل النجاح .

ويشمل هذا التعليم كما أسلفنا مختلف أوجه الفن الزراعي والادارة الزراعية لزيادة انتاج المزرعة سواء من الناحية النباتية أو من ناحية تربية الحيوان، كما يشمل التعليم معرفة أصول التغذية وانتاج ما تحتاجه العائلة منها وما يجب أن يتوفر من الخضر أو الفاكهة أو الدجاج أو الماشية ، وطرق حفظ ما يلزم حفظه لاستعماله على مدار السنة ومعرفة ما يجب توافره في المنزل والسكن السالح والطريقة العملية لتوفير ذلك . وعلى العموم كل ما يساعد المزارع المنخفض الدخل على أن يكون أوفر انتاجا في حقله وأهنا عيشا في داره .

وقد بلغ عدد من خدمتهم إدارة تأمين معيشة الفلاح حوالي مليون عائلة أى نصف من أنشئت هذه الادارة لخدمتهم، وبلغ متوسط قيمة السلف للعائلة الواحدة ٧٥٠ ريالا، وتبلغ نسبة السداد في المواعيد حوالي ٨٢٪ . وقد قامت ١١٥,٠٠٠ عائلة بالسداد بالكامل حتى نهاية أبريل سنة ١٩٤١ مع أن الأقساط لم تكن قد استحققت جميعها .

وقد ارتفع دخل العائلات التي ساعدتها هذه الادارة الى ضعف ما كان عليه في المتوسط بخائب تحسن مساكنهم وصحتهم وتغذيتهم اذ تبين مثلا أن إنتاج اللبن قد زاد في المتوسط في العائلة الواحدة من ٩٩ جالونا الى ٤٤٨ جالونا في العام، كما زادت كمية الخضر والفاكهة المحفوظة التي أنتجتها العائلة من ١٣ الى ٥٦ جالونا في العام .

وليست القيمة المادية هي كل ما أفاده هؤلاء الفلاحون فهناك قيم "أدبية" كسبوا كالشعور بالطمأنينة والاستقرار والنجاح والقيمة الذاتية في المجتمع وغير ذلك مما لا يمكن شراؤه بالمال .

التعاون

لما كان الترشيذ Rationalisation ذا أثر عميق في الزراعة الأمريكية سواء من حيث وسائل الإنتاج والتخصص الفني أو استعمال الآلات أو تسويق الحاصلات وما يرتبط بذلك من عمليات التجهيز والتصنيف والتخزين والحفظ والنقل والبيع مما يعمل للمزارع الكبير والشركات الزراعية أقرب في عملها للصانع . أصبح الفلاح الصغير ضعيفا عاجزا في هذا المعترك للمضخم محروما من الاستفادة بمزايا التقدم ومزايا الإنتاج الواسع والتعامل الضخم . وكان لا بد له إن أراد البقاء أن يسمى لإيجاد وسيلة تحقق له تلك المزايا رغم ضعفه الاقتصادي .

وفي هذا الميدان لعب التعاون دوره الباهر فنظم تلك الجهود الصغيرة وجمعها حتى أصبحت قوة تفوق أكبر الشركات أو اتحادات الشركات .

وبالولايات المتحدة حوالي ٣٢٠٠٠ جمعية تعاونية منها ٥ آلاف من جمعيات الإنتاج التي تنفي بالرى وتربية الماشية والخدمة البيطرية واستعمال الآلات وغير ذلك . و ١١ ألف جمعية لبيع الحاصلات وشراء الحاجيات الزراعية، و ٢٣٠ ألف جمعية للتسليف، و ٣٠٠٠ جمعية للتأمين ضد الحريق وخلافه و ٣٠٠٠ جمعية للخدمات العامة كتوصيل التليفون أو التيار الكهربائي .

ولا يقسع المقام تناول خدمات تلك الجمعيات المختلفة والتي لا يمتاز الكثير منها عن شيلاتها في أوروبا الشمالية والغربية . إلا أن هناك بعض أنواع من الجمعيات قد نجحت نجاحا منقطع النظير لا تنسل اليه أحسن الجمعيات في أية جهة من جهات العالم وسأشير الى تلك الجمعيات باختصار .

١ — جمعيات تسويق المنتجات الزراعية :

مكنك هذه الجمعيات لأصغر فلاح أن يتمتع بالامتيازات التي يتمتع بها أكبر منتج، فبجانب ما تقوم به تلك الجمعيات من ارشاد ومعوونة لأعضائها في تحسين الإنتاج واستيراد حاجيات الزراعة ومقاومة الآفات نجدها تلعب دورا أساسيا في تثبيت الإنتاج وفقا لحاجة السوق فلا تتغير كميته ارتجالا بطريقة تضر المنتجين، كما تعنى بتوحيد الأصناف والإعلان عنها حتى تكتسب علامات الجمعيات مكانة ثابتة مقدرة في الأسواق . وتعنى المزارع من مصائب عمليات الفرز والتصنيف والتدرج والتعبئة والتخزين في التلاجات أو صنع المحفوظات ونقل الحاصلات للأسواق المختلفة وبيعها بالأسعار العادلة .

فبجانب محطات التعبئة القوية توجد جمعيات التعاون محطات رئيسية وتلاجات ومصانع ووسائل نقل ومندوبون في الأسواق .

وطريقة "تجميع المحاصيل" Pooling هي المتبعة، عادة فتوزع التكاليف والأسعار للصف الواحد بالتساوي بين الأعضاء تأميناً لهم من التقلبات .

وفي سنة ١٩٤٣ بلغت قيمة مبيعات تلك الجمعيات وعددها ١١٠٠٠ تقريباً ٣,٣٦٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال "أى حوالى ٦٠٠ مليون جنيه" خص منها مشتجات الألبان ٨١٥ مليون ريال والجبوب والبقول ٥٢٤ مليوناً واللحوم ٣٣٧ مليوناً والفواكه والخضر ٣٢٥ مليون .

وتتبع المشاركات الموحدة للجمعيات التعاونية المركزية المختلفة بأحسن سمعة وأكبر ثقة في الأسواق مما مكن المنتجين من الحصول على أحسن الأسعار مع التخلص من استغلال الوسطاء .

وتتبع الجمعيات المركزية لتصرف الخضر والفواكه في كليفورنيا ٨٠ ٪ من جملة ما تنتجه الولاية من هذه الأصناف .

وتحتل جمعيات تصرف اللحوم المكان الأول في الولايات المتحدة جميعها بين مستوى وبائى هذا الصنف .

وتتبع الجمعيات التعاونية المركزية وحدها ٣٥ ٪ من محصول الولايات المتحدة من التمخ والأذرة و ٣٣ ٪ من الألبان ومشتجاتها .

أما النوع الثانى من الجمعيات - الذى اود أن أتحدث عنه - فهو جمعيات التأمين ضد الحريق والمؤثرات الجوية كالعواصف والصقيع فهناك حوالى ٢٠٠٠ جمعية للتأمين مؤمنة لنصف فلاحى الولايات المتحدة ضد الحريق بحوالى نصف الرسوم العادية ولديها الآن ١٢ بليون ريال ، والفضل فى هذا النجاح يعود الى انتفاء الاستغلال فالمؤمنون هم أصحاب الأسهم وأصحاب الأصوات فى الجمعيات فيسير العمل وفقاً لمصالحهم ولصالحهم فقط . ويعود الخير عليهم وحدهم .

وقد أنشئت أخيراً جمعية عامة للتأمين على السيارات ، وأصبح التأمين على السيارة يكلف حوالى ١٩,٥ ريال فى السنة بدلاً من ٥٠ الى ٥٥ ريالاً فى شركات التأمين الرأسمالية .

أما النوع الأخير من الجمعيات الذى - نشير إليه - فهو جمعيات الكهرباء ، فقد أنشئت أخيراً جمعية عامة لإنتاج التيار الكهربائى وتوصيله للفلاحين وحصلت هذه الجمعية على صفة من الحكومة ، وأقامت محطات توليد الكهرباء ومدت اتوصيلات ومكنت الفلاحين من الاستفادة بالتيار الرخيص فى الحقل والمنزل فسهلت لهم إدارة الآلات وتوفير مياه الشرب واقتناء الثلاجات الكهربائية للحفاظ ، كما رفعت مستوى معيشتهم عن طريق استعمال الكهرباء فى الإنارة والطبخ والاستحمام والتنظيف .

وقد أنشأت الجمعية مصانع لعمل الأدوات المطلوبة كالأزرار واللبات والمفاتيح وأواني الطهى والتلاجات مما يحتاجه الأعضاء .

ولا يدفع العضو الا ٣ سنت أى ٧,٥ مليم ثمنًا للكيلوات وذلك لتغطية التكاليف الانشائية وردسلفة الحكومة . وسيتم الاستهلاك هذا العام ويهبط ثمن الكيلوات ابتداء من العام القادم الى سنت واحد فقط أى ٢,٥ مليم .

ومما يؤسف له أننا لم نقدر بعد فى مصر أهمية التيار الرخيص فى تحسين الانتاج ورفع مستوى المعيشة فيبلغ ثمن الكيلوات عندنا فى بعض الجهات ٤٠ ملياً أو أكثر مما يحول دون استفادة عامة الشعب به .

مثل لتعمير وأحياء منطقة ريفية فقيرة

هناك مشروع ضخم لتعمير وأحياء منطقة زراعية واسعة تبلغ مساحتها ٢٦ مليون فدان منها ١٨ مليوناً أرضاً زراعية وثمانية ملايين أرض غابات أى أن مساحة تلك المنطقة تبلغ فى مجموعها حوالى ٢٦ أمثال المنطقة المترعة فى مصر .

وهذه المنطقة هى وادى نهر التنى ويقع فى أربع ولايات . وكانت حالة هذه المنطقة قد تدهورت إلى أبعد درجات البوار والفقر والبؤس .

ويبلغ متوسط هطول الأمطار فى تلك المنطقة ٤٢ بوصة فى السنة أى حوالى ٦٠٠ طن من الماء على الفدان الواحد . وإذا راعينا أن أراضي تلك المناطق ليست منبسطة كارض مصر كما أن الطبقة المثمرة فيها سطحية يبلغ عمقها حوالى قدم واحد تحته أرض حجرية وضخورية جرداء لقد رنا أثر تلك الأمطار الغزيرة فى إزالة وغسل الطبقة الخصبة soil erosion وتحويل تلك الأراضي إلى صحراء جرداء وأثرها بعد ذلك فى ردم مجرى النهر حتى أصبح غير صالح للملاحة بجانب النتائج المروعة التى تترتب على الفيضانات الخطيرة .

وقد أنشأ الرئيس روزفلت ادارة خاصة لأصلاح وتعمير هذا الوادى Tennessee Valley Authority وقامت تلك الادارة مستعينة بأموال الدولة فى بناء خزانات متتابعة وأصلحت مجرى النهر فنظمت اندفاع المياه وأمنت المنطقة من السيول والفيضانات وحولت النهر إلى طريق ملاحة منظم لكل السفن التى يكفيها عمق تسعة أقدام .

ثم عملت مشروعات واسعة للاستفادة بمساقط المياه فى انتاج التيار الكهربائى واستغلته فى صنع الأسمدة الكيماوية المركبة والتى تحتاجها أراضي المنطقة بصفة خاصة ، وكذلك فى صنع الأسمدة الأزوتية . كما أنشأت صناعات مختلفة تعتمد على تلك القوى الكهربائية ، ونظمت توزيع التيار للورش والمزارع والمساكن بأسعار مخفضة للغاية . وبالرغم من ذلك كانت تلك الاسعار كافية لسد نفقات انتاج التيار علاوة على نفقات أصلاح مجرى النهر ذاته وتكاليف انشاء الخزانات .

وقد ورد بتقرير ١٩٣٩ عن المشروع أن التيار الكهربائي ل ٣٣٠,٠٠٠ عميل وفروا ٨ مليون ريال لرخص التيار وكسبت ادارة المشروع في نفس الوقت ١٥,٠٠٠,٠٠٠ ريال. وقد تخصصت هذه المنطقة في انتاج السوبر فوسفات وأصبحت تخصص بانتاج أصناف مركزة. وصلت في أحد الأصناف واسمه ميتافوز Metaphos درجة الى ٦٤٪ P_2O_5 - أى ٤ أمثال ما يحتويه السوبر فوسفات العادى .

ونلقى هذه الأنواع المركزة من السماد اقبالا شديدا في كافة أنحاء الولايات المتحدة . كما كان تيسير وتشجيع استعمال الأسمدة الفوسفاتية من أكبر العوامل في اصلاح حال التربة المتدهورة .

وقد سارت جنبنا الى جذب مع المشروعات الخاصة بالنهر والكهرباء مشروع اصلاح زراعى شامل يقوم على معاونة الملاحين وارشادهم عن طريق التجارب الملموسة في حقول المزارعين منهم . كما أدخلت زراعات جديدة وشجعت الصناعات الزراعية المختلفة للحفاظ والتجفيف، واستكملت تلك المشروعات برنامج شامل لاصلاح الاجتماعى يقوم على توفير الوسائل الصحية والقضاء على الأمراض المنتشرة وبخاصة الملاريا وتيسير سبل العلاج . كما عني بتوفير سبل التعليم والتنظيف وتحسين حالة المساكن بإنشاء مستعمرات نموذجية وتوفير الأندية ووسائل التسلية، وعلى العموم كان البرنامج الذى طبق في وادى التنىسى برنامجا شاملا كاملا حول تلك المنطقة وأهلها من حالة التقهقر والبؤس والفقير الى منطقة حية غنية .

ويعتبر المسؤولون عن هذا المشروع من رجال الحكومة الأمريكية أن ما وصلت اليه حالة هذا الوادى من الرقى وال عمران يعد من أكبر مفاخر الولايات المتحدة . وتملأهم الغبطة والفخر كلما استقبلوا زائرا أجنبيا في هذه المنطقة .

العناية بفلاح المستقبل

صدر في سنة ١٩١٤ قانون ينظم إنشاء نواد للنشء الريفي يطلق عليها اسم 4H Clubs ويرمز هذا الاسم الى مهمة النادى في الوصول الى رجاحة العقل وسلامة الجسم ونقاء القلب ومهارة اليد .

ويتكون كل من تلك النوادى من عدد قليل من أبناء وبنات المزارعين المتجاورين والذين يتراوح سنهم بين ١٠ و ٢٠ سنة .

وليس لتلك النوادى مكان خاص فيجتمع الأعضاء في منازل أو حقول بعضهم أو في المدرسة أو في أى مكان عام .

ويشرف على تلك النوادى مندوبو الارشاد الزراعيون السابق ذكرهم مستعينين في ذلك بقيادة محليين من المدرسين أو المزارعين المتهادين رجالا ونساء على أن يتوفر فيهم الاستعداد

للقيادة والايان برساله تلك النوادي . والكثير من القادة الآن ممن كانوا أعضاء في تلك النوادي في السابق .

ولتلك النوادي عقيدة نشأت معها ونمت بنموها يستثنيها الأعضاء وعبر عنها نظام تلك النوادي بالتعهد الآتي الذي يوقعه الأعضاء :

١ - أعتقد في هذا النادي لما يتيحه لي من فرصة تجعلني مواظبا مفيدا .

٢ - أعتقد في تدريب عقلي لما يمنحني من قوة في الفكر والعمل .

٣ - أعتقد في تدريب قلبي لما يمنحني من نبل يجعلني طيبا وشفوقا ومخلصا صادقا .

٤ - أعتقد في تدريب يدي لما تمنحني من أهلية تجعلني قادرا على المساعدة والإفادة والخدمة في العمل .

٥ - أعتقد في وطني وعشيرتي كما أعتقد في مسؤوليتي تجاه تقدمهما .

٦ - أعتقد في العناية بصحتي لما تمنحني من قوة للتمتع بالحياة ومقاومة المرض وكفاية في العمل .

٧ - أعتقد في كل هذا وأني أرغب في تكريس جهودي لتحقيق هذه العقائد .

ويقوم نشاط تلك النوادي على تكليف كل عضو من الأعضاء بالقيام تحت إشراف المرشد الزراعي والقائد بقصد تعليم وعرض أفضل الطرق في الزراعة أو التدبير المنزلي للتغلب على مشاكل الزراعة أو المنزل أو الحديقة أو غير ذلك بطريقة عملية .

والغرض الأساسي من تلك النوادي تعليمي يرمي إلى مساعدة الأولاد والبنات في الريف إلى تنمية المثل السليمة في أعمال الحقل والمنزل وفي حياة الجماعة وأحياء الشعور بالمسؤولية .

ويعتمد على تلك النوادي في نشر المعلومات الزراعية الحديثة سواء بين الأعضاء أنفسهم أو في محيط المنطقة عموما .

وتعطي الفرصة دائما للأعضاء لتعلم بواسطة العمل المباشر في الناحية التي يختارونها ، وتختلف تلك المشروعات باختلاف البيئة وحالة عائلة العضو واحتياجاتها . فقد يختار ولد إنشاء حديقة صغيرة أو زراعة فدان بنفسه أو تربية ماشية صغيرة لحسابه أو يترك للفتاة إعداد غذاء شهى صحن مرة في الأسبوع في منزلها أو حياكة ملابس جميلة في حدود قدرة الأسرة أو غير ذلك .

ويعني بتعزيز الشعور بالمسؤولية والشعور بأهمية العمل المشترك والمساهمة في النشاط الاجتماعي بالجهة وتنمية الروح الديمقراطية والشعور بالوحدة القومية وغير ذلك من المثل العليا

ويسعى تلك النوادي لاشعار الصغار بأنهم مسؤولون عن تادية عمل نافع للعالم وأنهم بأدائه يتقدمون خطوات من الناحية العقلية والروحية والاجتماعية . وكذا إشعارهم بأنهم جزء لاغنى عنه للبيئة التي يعيشون فيها وأنهم مسؤولون عن تحسين حالها .

والهدف النهائي لتلك النوادي أن تجعل من هذا النشء رجالا ونساء ناجحين في حياتهم الزراعية هائمين في حياتهم المنزلية أكثر محبة لريفهم واعتزازا بحياته وشعورا بالمسؤولية نحوه . ويبلغ عدد تلك النوادي ما يقرب من ٢٠٠,٠٠٠ ناد تخدم ما يزيد عن مليون عضو سـ:ويا في مختلف انحاء الولايات المتحدة .

أنتشم أن أكون قد وفقت في عرض بعض نواحي الجهود التي تبذل في الولايات المتحدة الأمريكية لتحسين معيشة الفلاح . وأنتشم أن يأتي قريبا اليوم الذي نستطيع أن نتحدث فيه عن جهود لنا في مصر مماثلة واومتواضة تؤدي جديا إلى تحسين معيشة فلاحينا

أحمد حسين